آليات التحليل التداولي للخطاب: قضايا نظرية ونماذج تطبيقية

د. راضية خفيف بوبكري

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار–عنابة، radiakhefif@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2016/10/11 **تاريخ المراجعة:** 2016/12/14 **تاريخ القبول:** 2016/12/27

ملخص

نستعرض في هذا البحث أهم المفاهيم التي تستثمرها التداولية في تحليل الخطابات مثل: الفعل الكلامي، والفعل الإنجازي، والقوة الإنجازية، والقصد، والسياق، والمقام، والحجاج، ومتضمنات القول، والافتراض المسبق، والأقوال المضمرة، مع التركيز أكثر على الأفعال الكلامية، باعتبارها تشكل المنطلق الأساسي للتحليل التداولي. يهدف هذا البحث إلى تدريب القارئ على توظيف واستثمار الجوانب النظرية، في التحليل الفاعل والعملي للخطابات، وامتلاك آليات التحليل التداولي للنصوص، لذلك لم أقتصر على عرض المفاهيم النظرية فقط، بل حاولت أن أورد نماذج تطبيقية كثيرة لمساعدة القارئ على امتلاك مهارات التحليل التطبيقي للخطابات من منظور التداولية.

الكلمات المفاتيح: تحليل خطاب، تداولية، مفاهيم نظريّة، نماذج تطبيقيّة.

Mécanismes de l'analyse pragmatique du discours: questions théoriques et modèles pratiques

Résumé

Nous exposons dans cette recherche les concepts les plus importants investis par la pragmatique, tels que: l'acte de parole, l'acte illocutoire, la force illocutoire, l'intention, le contexte, la situation, l'argumentation, les implicites, les présuppositions et les sous-entendus. Cette étude s'appuie sur les actes de parole en tant que principe de base de l'analyse pragmatique afin de former le lecteur à investir les mécanismes de l'analyse pragmatique des textes. Je ne cherche pas à exposer des questions théoriques seulement, mais j'ai essayé de citer de nombreux exemples pratiques, pour aider le lecteur à acquérir les compétences de l'analyse pratique des discours du point de vue de la pragmatique.

Mots-clés: Analyse du discours, pragmatique, concepts théoriques, modèles pratiques.

Mechanisms of Pragmatic Discourse Analysis: Theoretical issues and Practice

Abstract

This study reports on the major concepts recruited by pragmatics such as speech acts of expressive and directive, intent, context, argumentation, implicit meaning, pre-assumption and presupposition. Within this study, much focus is assigned to expressive speech act which among others, represents the basic premise for pragmatic analysis. The goal of this study is twofold: it aims first to acquaint lay readers with the use of the theoretical aspects in the practical analysis of discourse, and second to help them learn strategies of pragmatic analysis of texts. To this end, the present study does not only confine itself to the description of the theoretical concepts, but endeavors to provide relevant illustrative examples of practice.

Key words: Discourse analysis, pragmatics, theorical concepts, examples of practice.

المؤلف المرسل: د. راضية خفيف بوبكري، radiakhefif@yahoo.fr

مقدمـــة

أثارت التداولية (pragmatique) الكثير من الجدل، والنقاش في الأوساط المعرفية العربية، بين رافض مرتاب، يُشكك في شرعيتها ومصداقيتها، باعتبارها مقاربة وحقلا معرفيا يدرس اللغة، من وجهة نظر مختلفة لما هو سائد في الدراسات اللسانية، والأدبية، والفلسفية العربية من جهة[1]، وبين مقبل على هذا الوافد الجديد الذي غيّر نظرتنا للكثير من المفاهيم اللغوية، بل **غيّر نظرتنا للغة في حد ذاتها، وللوظيفة التي يمكن أن تؤديها في حياتنا العامة،** وعلاقتنا بها، وبالعالم الخارجي من جهة أخرى.

تنهل التداولية من مشارب عدة، تنوعت بين الفلسفية، والأدبية، واللسانية، والنقدية، والنفسية، والاجتماعية، ما جعلها على غرار الحقول والمناهج النقدية واللسانية الأخرى الوافدة إلينا من الغرب، تعرف عدة مصطلحات ومفاهيم متباينة، بل ومتضاربة في أحيان كثيرة، وهو ما يصعّب من مهمة الباحث في هذا الحقل، خاصة أنه حقل جديد، لم تكتمل أطره العامة وملامحه النهائية، ولا يزال في طور البناء والتأسيس.

حيث تعنى التداولية **بدراسة استعمال اللغة،** وهي «...لا تدرس" البنية اللغوية" ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها، في الطبقات المقامية المختلفة، باعتبارها" **كلاما محددا**" صادرا من "**متكلم محدد**"، وموجها إلى "**مخاطب محدد**" في "**مقام تواصلي محدد**" لتحقيق "**غرض تواصلي محدد**"...»[2]، مما يُبرز دور **القصد** و**النية** في العملية التواصلية.

تتجاوز اللغة –من وجهة نظر التداولية– وظيفتها الأولى التخاطبية، والتواصلية، إلى اعتبارها **وسيلة للتأثير** في الآخرين، وتغيير سلوكهم، من خلال تحقيق وإنجاز عمل ما، وهو ما أعطى قيمة قصوى عند التداوليين، لمفهوم "**الفعل الإنجازي**" و"**الفعل التأثيري**".

كما تحددت التداولية أيضا انطلاقا من علاقتها بنظرية أفعال الكلام (théorie des actes du langage)[3]، لأنهما تدرسان اللغة على أساس أنها وسيلة لتواصل الأفراد في المجتمع وتفاعلهم، فكل ما يملكه الإنسان، ناتج عن هذا التواصل كونه كائنا اجتماعيا[4]. لذلك نعتقد أن «...ميدان استعمال اللغة هو الخطاب (le discoure)، وأنه لا يتبلور الاستعمال إلا من خلال عملية قولية، تسمى عملية التلفظ بالخطاب، فالتلفظ هو النشاط الرئيس، الذي يمنح استعمال اللغة طابعها التداولي، بوصفه نقطة التحول بالممارسة الفعلية لها، مما يبلور عناصر السياق في الخطاب: من **مرسل ومرسل إليه،** كما أنه يتحدد به **القصد**، و**الهدف**...»[5].

لكن هذا لا يعني أن التداولية، تقف عند حد التلفظ بالكلمات، بل تتجاوز ذلك إلى الفعل في الواقع بهذه الكلمات، والبحث عن الكيفية التي تفعل بها الكلمات فعلها في المتلقي، وكيفية تلقيه هذه الكلمات، ومدى تأثيرها فيه.

وعليه يأتي هذا البحث لاستعراض ومقاربة أهم المفاهيم التداولية، وكيفية استثمارها في تحليل الخطابات والنصوص، لتحليلها تحليلا تداوليا على مستوى الشكل والمضمون، ومن ثم الكشف عن المعاني المضمرة، والافتراضات المسبقة، والمعاني المقصودة، والأفعال الكلامية بمستوياتها المختلفة، كما يهدف من خلال الأمثلة التطبيقية الكثيرة، التي أَوْرَدْتُها، إلى تدريب القارئ والباحث في مجال تحليل الخطاب، على استثمار وتوظيف الجوانب النظرية، في التحليل الفاعل للخطابات، وامتلاك آليات التحليل التداولي للنصوص.

وللإشارة فإن الأمثلة والنماذج التي أوردتها في البحث، مقتطفة من **خطابات سياسية مختلفة للرئيس الجزائري، السيد عبد العزيز بوتفليقة،** وقد اخترت الخطاب السياسي نموذجا للتطبيق، من منطلق أنه من أكثر الخطابات التي

تتجلى فيها الخصائص التداولية، على مستوى **الشكل** (اللغة)، وعلى مستوى **المضمون** (الأفكار والمعاني والإيحاءات)، وعلى مستوى **الواقع** (التأثير)، لأنه يسعى إلى الإقناع والتأثير في المتلقي، ومن ثم يوظف كل آليات وأساليب الإقناع والتأثير، من **أفعال كلامية**، و**تضمين**، و**حجاج**، و**حوار**، و**افتراض مسبق**، و**مضمرات القول**، و**إيحاءات**، و**قوة إنجازية**، و**قصد**، و**سياق**، و**إحالة**، و**عرف اجتماعي**، و**كل المعارف المشتركة بين المرسل والمتلقي**، وهي أهم العناصر التداولية في جميع الخطابات والنصوص، الأمر الذي يجعل الخطاب السياسي أكثر مناسبة لأن يكون نماذج عملية، لتبسيط الانتقال من المفاهيم النظرية للتداولية إلى التحليل والتطبيق على النصوص.

بناء على ما سبق، يحاول البحث أن **يجيب على جملة من التساؤلات**، منها:

- ما هي أهم المفاهيم التداولية التي يمكن أن تستثمر في تحليل الخطابات؟
- كيف يتحدد الفعل الكلامي، والفعل الإنجازي؟
- ما هي خصائص الأفعال الكلامية؟
- ما هي متضمنات القول، وكيف نستثمرها في تحليل الخطاب والبحث عن المعاني المضمرة؟
- كيف نستثمر المفاهيم التداولية المختلفة، تطبيقيا وعمليّا، في التحليل التداولي للخطاب؟

سأركّز في البحث على المفاهيم التداولية الآتية: **الفعل الكلامي**، و**الفعل الإنجازي**، و**خصائص الفعل الكلامي**، **والقوة الإنجازية**، **ومتضمنات القول**، و**الافتراض السابق**، و**الأقوال المضمرة**، و**الحجاج**، و**السياق**، **والمقام**، **والقصد**، وسأُتبع القضايا النظرية بنماذج تطبيقية، كما يأتي:

1- الفعل الكلامي (acte de parole)[6]:

شكل الفعل الكلامي محور اهتمام الدراسات التداولية (pragmatique)، التي تركز على تأويل النّصوص، والخطابات باعتبارها أفعالا للكلام، أو مجموعة من المتتاليات لأفعال الكلام كالوعود (les promesses)، والتهديدات (les menaces)، والاستفهامات (les interrogations)، والطلبات، والأوامر (les ordres)... وبتعبير أدقّ فإن التداولية تقوم بتحويل مختلف الموضوعات إلى أفعال كلامية، ترتبط ارتباطا وثيقا **بالقصد** (Intention)، «...فمن خلال التعرّف على قصد المتكلم (Intention de l`émetteur)، أتعرف على الفعل الكلامي المنجز، فلو قال متكلم لآخر(هناك خطر يحدق بك) فقد يكون القصد من كلامه هذا الإخبار أو التنبيه أو السخريّة... »[7]. وللوصول إلى قصد المتكلم يلجأ المتلقي (Le Récepteur) إلى عملية التأويل التي تتحكم فيها مجموعة من المعطيات اللغوية والمقامية والسياقية: الثقافية، والعرفية، والاجتماعية.

فهو عندئذ فعل **سياقي** (contextuel) «...بحيث لا يمكن النظر إليه بمعزل عن السياق (contexte)، فإذا أخذنا جملة من قبيل (**سأحضر غدا**) فإننا نجد أنها تفيد معاني عديدة، وذلك بحسب السياق، فهي **تفيد الإخبار** في سياق ما، وفي سياق أخر قد **تفيد الوعد**، وقد يكون لها **معنى التهديد** في سياق ثالث...»[8].

فالخطاب يمكن أن يحمل معنى الإخبار من الناحية الدلالية، ولكنه من الناحية التداولية قد يكون تحذيرا [9]. فقد يؤدي **مستوى الاستعمال اللغوي الحيوي الوظيفي في الواقع**، معنىً معاكسا تماما **للمستوى المعجمي المحايد للغة** (اللغة في الاستعمال مقابل اللغة في الدرجة الصفر).

لذلك يتحدد الفعل الكلامي بتحديدات مختلفة تعود إلى اختلاف المرجعيات والمنطلقات التي انطلق منها الدارسون، والباحثون في أفعال الكلام، ومع ذلك فإنّ المتفق عليه هو أنّ «...تكلّم لغة ما أو التحدث بها، يعني تحقيق أفعال كلامية، ومنها أفعال تصلح للتأكيد على أشياء (Affirmation)، أو إعطاء أوامر (des ordres)،

أو إثارة أسئلة(des interrogations)، أو القيام بوعود (des promesses)، أو غير ذلك من الأفعال الكلامية ... »[10].

ومن خصائص الفعل الكلامي أنه: فعل دال، وإنجازي (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات...)، كما أنه أيضا فعل تأثيري (أي يترك آثارا معينة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا)[11].

2- مستويات أفعال الكلام عند أوستين (Austine): ينقسم الفعل الكلامي عند (أوستين) إلى ثلاثة مستويات:

أ- المستوى الأول: فعل القول (acte loculaire): وهو التلفّظ بمجموعة من الأصوات، التي تخضع لقواعد نحوية وصرفية وتركيبية، وتحمل دلالة. وينقسم بدوره إلى ثلاثة مستويات:

– فعل صوتي (acte phonétique): (سلسلة الأصوات التي يُصدرها الإنسان أثناء الكلام).

– فعل تركيبي (acte phatique): (وهو المستوى التركيبي، وما ننتجه من كلمات وجمل إسناديّة، خاضعة للقواعد التركيبيّة والنحويّة).

– فعل دلالي (acte sémantique): (وهو المستوى الدّلالي، الذي نعتمد فيه على السّياق والمرجع (référent) لإعطاء معاني لكلامنا، أي استعمال الكلمات والجمل، الّتي أنتجناها بتضافر(المستوى التركيبي والصوتي)، للدّلالة على معانٍ معيّنة، وهو بذلك فعلٌ بيانيٌ دلاليٌ يعبر عن مختلف الدلالات التي يحملها الخطاب.

ب- الفعل في القول أو(الفعل الإنجازي) (acte illocutoire)

«...وهو قول شيء معين، أي أنه كلام قد يفيد تقريراً أو وعداً أو استفهاماً... »[12]، وهو أهم هذه الأنواع لأنّه المفهوم الأساسي، والمركزي في نظرية أفعال الكلام، ولأنه أيضا«...الفعل المنجز داخل الكلام بواسطة المتكلم، أو هو قوته الإنجازيّة (force illocution) وذلك في مقابل الفعل التأثيري المنجز بواسطة الكلام... »[13]. أي أنّنا عندما نتكلم أو نتلفظ بأصوات على مستوى (فعل القول) ننجز نوعين من الأفعال:–أفعال كلام (إنجازية، على مستوى اللغة أو داخل الخطاب)، وأفعال تأثيرية (التأثير بالكلام).

ولقد تجاوز مفهوم الفعل في القول (الفعل الإنجازي) عند أوستين هذا المعنى، إلى اعتبار جميع الأفعال التي ينتجها الإنسان في حياته اليومية أقــوالا منجزة بالدرجة الأولى، لأنّ اللغة بالنسبة إليه «...**ليست وسيلة تواصل فقط، وإنّما أيضا وسيلة للتأثير في الواقع وتغيير سلوكنا ومواقفنا...**»[14]. وهذا ما يقوم به الفعل بالقول (الفعل التأثيري) باعتباره فعلاً منجزا بواسطة الكلام، على مستوى الواقع.

جـ-الفعل بالقول أو (الفعل التأثيري)[15] التأثير بالخطاب(acte perlocutoire):

وهو الفعل النّاتج عـن أقوالنا التي تُحدث تأثيرات متباينة في الواقع وعلى سلوك الآخرين (الإقناع، والإمتاع، وتغيير المواقف، والأفكار...) حيث **يرتبط هذا الفعل بمدى استجابة المتلقّي**، التي تترتّب على التأثير الذي أحدثه الفعل الإنجازي، وبالتالي فإن الفعل التأثيري هو الآثار الواقعية الملموسة، أو النتيجة ورد الفعل الذي يتحقق على مستوى الواقع.

لأن كل خطاب «موجّه إلى مخاطَب معيّن يسعى إلى إقناعه، بفعل ما (convaincre)، وكنتيجة لذلك استجابته لهذا الفعل، وتسمّى هذه الاستجابة فعلا استجابيّاً، أو فعل التّأثير في الخطاب»[16]. ومن ثم فإن الفعل التأثيري ناتج عن الفعل الإنجازي، وما يفهمه المتلقي من الخطاب بعد عملية التأويل، التي يعتمد فيها على اللغة والسياق، وأيضا المقام.

ولتوضيح هذه المفاهيم سنحاول استخراجها من النموذج التالي، وهو عبارة عن مقطع من خطاب للرئيس عبد العزيز بوتفليقة، ألقاه عقب التصويت بنعم على الاستفتاء حول الوئام المدني، الذي وافق فيه الشعب الجزائري على المصالحة الوطنية، وطي صفحة ما عرف بالعشرية السوداء:

قال الرئيس:".....فالقَانونُ جارٍ تطبيقهُ والأبوابُ مَفتُوحة، لكن المُجتمع لا يُمكنُه الانتظَار إلى ما لا نهاية. فَمنْ تَمَاطَل وَضيّعَ الفُرصَةَ المُتاحَة ليُجَدِّدَ نَظرتَهُ للمستَقبَل بكُلّ أمَل، وسَدّ سَمْعَهُ...عن عَرْضِ شَعْبِه بالصّفحِ الجميلِ والإقَالة، يضعُ نفسهُ نهَائيا في حُكمِ الحائدِ عن القَانون. وعِندَها يحِقّ للدّولَة والشّعبِ، بل يَكونُ من واجبهمَا استعْمَال كَافّة الوسَائل لمَنْع هَؤلاءِ من اقْترافِ المَزيد من البَوائق والشّرُور..."[17]

جدول رقم (01): أفعال الكلام نماذج وأمثلة

فعل القول	**الفعل في القول**(الفعل الانجازي)	**الفعل بالقول** (الأثر الواقعي) (مدى الاستجابة لنداء الرئيس)
يحتوي هذا المقطع على مجموعة من الجمل الصحيحة نحويا، وتركيبيا، وصوتيا، معناها مباشر وحرفي، يُفهم من السياق اللغوي، **فالمعنى المباشر** الذي يفهمه المتلقي هو: أن قانون الدولة الجزائرية يدعو للسلم والسلام، وأبوابه مفتوحة لمن يريد العودة إلى طريق الصواب، كما أن الدولة صارمة في تطبيق قوانينها، وحماية الشعب من كل الأخطار والتهديدات.	يظهر في هذا المقطع نوعان من الأفعال الانجازية: أ–**الأفعال الانجازية المباشرة** من خلال: التأكيد والتقرير لأن الموقف الخطابي يتطلب ذلك، لتأكيد وتقرير جملة من الحقائق، المتعلقة بقانون الدولة، وصرامة تطبيقه إذا تعلق الأمر بسلامة المجتمع، وأمنه واستقراره، ويظهر ذلك من خلال جملة من التعابير مثل: (..**فالقَانونُ جارٍ تطبيقهُ...**)، (...**لكن المُجتمع لا يُمكنُه الانتظَار...**)، (...**وعِندَها يحِقّ للدّولَة والشّعبِ...**). ب–**الأفعال الانجازية غير المباشرة (الضمنية):** وهي المعاني الإضافية المضمرة التي نفهمها ونستدل عليها من خلال بعض العناصر اللغوية والسياقية، مثلا الطلب أو النداء الذي يوجهه الرئيس إلى كل من حاد عن الطريق، لكي يعود إلى الصواب والجادة، إنه نداء إلى التوبة، من خلال: (**التحذير**، و**التهديد** أحيانا، و**الأمر** و**الرجاء** أحيانا أخرى...)	أما الأثر الذي يحدثه هذا المقطع في المتلقي بصفة عامة، فقد يكون آنيا لحظة تلقي الخطاب، (**تعليقات، حركات وإشارات، تصفيق، زغاريد..**)، وقد يكون بعد فترة، ويظهر من خلال تغيير يحدث على مستوى السلوك، أو الأفكار والمواقف... والتغيير في الواقع الراهن، أو التوبة، ونسيان الماضي والعمل الجاد والمتواصل من أجل بناء جزائر الغد...، وذلك لن يكون إلا إذا أثّر الخطاب في المتلقي، وغيّر من سلوكه وفكره، ومن ثم يحدث التغيير في الواقع اليومي المعاش.

المصدر: الجدول من إنشائنا بالاعتماد على نماذج مختارة

3- تكامل مستويات الفعل القولي:

مستويات الفعل القولي الثلاثة متداخلة «...ذلك أنّنا في أية عمليّة كلاميّة لا بدّ وأن نصدر متوالية من الأصوات تنتمي إلى لغة معيّنة ويجب في هذه الأصوات أن تكون خاضعة ومطابقة للقواعد النّحوية والتركيبية لهذه اللغة، وبذلك نضفي على هذه المتوالية معنى معينا...»[18]. أي أنّ **فعل القول** «...يتألّف من أصوات لغويّة تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل عليه...»[19]. لذلك ففعل القول يحيلنا على المعنى الأصلي المباشر الذي نقصده أثناء عمليّة الكلام الّتي يشترط فيها: تضافر المستويات الثلاث، **الصوت**، و**التركيب**، و**الدّلالة** بصورة صحيحة منتظمة ومحدّدة. فالكلام لا ينعقد إلا بالفعل اللفظي، وللحديث عن فعل القول يجب أن نأخذ بعين الاعتبار العلاقات التي تربطنا بمخاطبينا.

ولتوضيح تداخل مستويات الفعل الكلامي، نضرب مثالا آخر من نفس الخطاب السابق للسيد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة:

قال الرئيس: ".....فَمن وَاجبِ كلّ جَزائريّةٍ وكلّ جَزائريّ، يَعتنقُ هَذا المسْعَى، أنْ يزرعَ حولهُ بُذورَ التّضامنِ والاحترامِ تجاهَ كافّة الجَزائريين، وبصفةٍ خَاصّة، تجَاهَ الأكثر عُرضة منهُم، في مَسْعى السّلم هَذا، وأعْني بِذلك ضَحَايا الإرهَاب أو أولئكَ الّذين بعد تيهان الزّيغ والضّلال، اسْتجابُوا أخيراً لنداءِ شَعبهِم، وعَادُوا إلى أحْضَانِ المُجتمَعِ، فَلاَ تُذكّرُوهُم بِحَالهِم بالأمْسِ، وسَاعِدُوهُم عَلى تَصْويب وجْهَتهم شَطرَ المُستقبلِ الّذي اخْتَاروا بناءَه معكُم. وعَوِّضُوا للآخرين رزْأهُم في عَزيزٍ عَليهِم، بإحَاطتِهمْ بِحُضُورِكُمْ وَتَضَامُنِكُمْ".....[20].

جدول رقم (02): تداخل مستويات الفعل الكلامي

فعل صوتي	فعل تركيبي	فعل دلالي
المقطع الذي بين أيدينا، لا يخلو من الأصوات، التي تتكرر لتزيد قوة الخطاب على الإقناع، والوصول إلى المتلقي. مثل تكرار: (الباء، والجيم، والدال، واللام، والزاي، والعين، والسين،...) لكننا نلاحظ كثرة حروف الجهر على حساب حروف الهمس، لأن المقام يتطلب ذلك، فهي أصوات قوية، تسهم في لفت الانتباه، وإسماع صوت المتكلم، لكن هذا لا ينفي وجود أصوات الهمس، فهي حاضرة، حتى يكون هناك انسجام وتناغم في الخطاب يخلق جرسا موسيقيا يؤثر في المتلقي ويشعره بحميمية قربه من الرئيس، فالانتقال من الجهر، إلى الهمس والعكس، يفرضه مقام الخطاب وطبيعة المواضيع، والأفكار، والقيم، والمشاعر،	يحتوي هذا المقطع على أفعال وأسماء، وحروف، وأصوات تتضافر لغرض واحد، هو إيصال المعاني والأفكار إلى المتلقي، على أحسن حال، قصد التأثير فيه وإقناعه.مثل الجملة التالية: {(ف)، (من)، (واجب)، (كل)، (جزائري)، (و)، (كل)، (جزائرية)}، {(يعتنق)، (هذا)، (المسعى)، (أن)، (يزرع)، (حوله)، (بذور)، (التضامن).....}. إن توظيف مثل هذه الجمل يستجيب للمقام والسياق، الذي قيل فيه هذا الخطاب، وكذلك الموضوع والقضايا التي يعالجها، فالمتمعن في الخطاب، سيجده يوحي بذلك النفس اللغوي، البسيط والواضح، والمألوف لدى الجميع. بعبارات مفهومة، قوية، مباشرة، يستوعبها العام والخاص، لأن	يحمل هذا المقطع **شحنات دلالية** متباينة تباين الأفعال والأغراض والمعاني التي تشير إليها. فلقد استهل الرئيس المقطع **بنبرة شديدة قوية**، فيها نوع من التأكيد والتقرير، على أنه من واجب كل الجزائريين الذين قالوا نعم لمسعى المصالحة الوطنية، أن يعملوا على إنجاحه وتحقيقه، من خلال التسامح والتضامن والتكافل الاجتماعي. والمقطع **غني بالدلالات** والمعاني، التي تلفت انتباه المتلقي وتثير عواطفه ومشاعره، مثل حديثه عن: ضحايا الإرهاب، وعن المُغَرَّر بهم في قوله: **(واعني بذلك ضحايا الإرهاب) و (أولئك الذين، بعد تيهان الزيغ والضلال، استجابوا، أخيرا، لنداء شعبهم وعادوا إلى**

والحالات النفسية التي يتطرق إليها المرسل. حيث تؤدي هذه الأصوات معاني مختلفة، باختلاف موقعها في البنية اللغوية، فهي وسيلة من وسائل الموسيقى اللغوية، لأن انسجام الحروف، وحلاوة جرسها، من شأنه أن يُسهم في الإبلاغ والإيصال، وتقريب المعاني إلى النفوس، خاصة إن تكررت هذه الأصوات، كما أن **حروف الجر، والنصب، والاستفهام، والتعجب، والشرط** وغيرها من **الأسماء المشبهة بالفعل، وأدوات الاستثناء، وصيغ المبالغة، وأفعال التفضيل**، كلها تجعل أسلوب الخطاب يتنوع، ونبرة الصوت تتنوع، ترتفع أحيانا، وتنخفض أحيانا أخرى.فهذه الحروف أو الأصوات، **لم ترد اعتباطا** ولغير فائدة، فتكرار أداة النهي (لا) مثلا، أدت وظيفة **تواصلية مهمة**، فلقد نهت عن بعض الأفعال، وحثت على بعض الأفكار والقِيَم (أوامر ونواه تتكرر) التي تؤدي إلى تغيير المواقف والذهنيات والسلوكات.	الكلام موجه لكافة الشعب، لكل الجزائريين. والرئيس حاول أن يبث جملة من المفاهيم والقيم والرؤى، المتعلقة بسياسة الوئام المدني والمصالحة والسلم. لحمل الجمهور على التواصل معه، والاستجابة لما يدعو إليه. ولأجل ذلك **وظّف هذه الجمل القصيرة ذات الجرس**، والألحان المختلفة التي تلامس القلوب، قبل العقول. لقد عمد الرئيس إلى استخدام الجمل القصيرة، لما لها من وقع، وتأثير نظرا لطابعها التداولي الذي يسعى إلى الإقناع، وكسب ثقة المتلقي. كما **استعمل الأفعال** لما لها من دور فاعل في معمار النص، **واستعمل الجمل الفعلية** لحيويتها وحركيتها ودلالتها على الاستمرار والتجدد، مثل: (يعتنق، يزرع، استجاب، عاد، ساعد، عوض، أحاط...).	**أحضان المجتمع)، و(وعوضوا للآخرين، رزأهم في عزيز عليهم بإحاطتهم بحضوركم وتضامنكم)** وهناك الكثير من **المعاني الضمنية** في المقطع، تحمل بين طياتها دعوات متعددة ومتجددة لنسيان الماضي، وبناء مستقبل جديد لدفع ركب التنمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها. هناك أيضا **دلالات مؤثّرة، ومعبّرة**، تحمل معاني ودعوات **معلنة**، وأخرى **مضمرة** للمصالحة ونبذ الخلافات، والتآخي والتمسك بالقيم الحضارية العصرية. كما أشار الرئيس، بطريقة غير مباشرة إلى الأوضاع التي عاشتها الجزائر والفترة السوداء التي أفرزت قانون المصالحة. وعلى العموم **فإن الحقل الدلالي للكلمات الدالة على:** التفاؤل، والسلام والأمن والأمان، والمستقبل والتغيير، والتجديد، والفرح، هي **الغالبة**.

المصدر: الجدل من إنشائنا بالاعتماد على نماذج وأمثلة مختارة "

4-الفعل الإنجازي (acte illocutoire):

يعرفه **دانيال فاندرفيكن**(Vanderveken Daniel) بأنّه «...الوحدة الأولية لمعنى الجملة، وهو الوحدة الأولية للاتصال...»[21] لأن الأفعال الإنجازية ملفوظات (Enoncés) ذات طابع دلالي، تصف الحدث و«...تتميز بكون لفظها[22] ينجز الحدث الذي تصفه، وهكذا فإنّني بقولي (أعدك) بالمجيء أتمم الفعل المذكور في الملفوظة، أعدك، كذلك هي الحال بالنسبة إلى قولي (آمرك..أُجيز لك..الخ)... »[23]، فأنا أنجز فعل الوعد على مستوى اللغة بمجرد التلفظ بالجملة أو الفعل الكلامي، ثم بعد ذلك يكون الإنجاز على مستوى الواقع من خلال التأثير الذي يحدثه الخطاب في المتلقي.

ولتقريب مفهوم الفعل الإنجازي سأورد المثال التالي، وهو عبارة عن مقتطفات من خطاب للرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة، أثناء آدائه اليمين الدستوري:

قال الرئيس: ".....أيّتها السيّدات، أيّها السّادة

إنّ أَوْلَويّة الأَوْلويَّات في السّياسَة التي تَستجِيبُ لِرغبات الأمّة العَمِيقَة إنّمَا هِيَ العَمَلَ عَلَى اسْتتبابِ السّلْم... وفي هَذَا الإِطَار لاَ مَنَاصَ لِي منَ التّأْكِيد بأنّ أَمْنَ الأَشْخَاصِ والمُمْتَلَكَات من صَمِيم مَسْؤُولِيّة الدّوْلَة..... أَتَعَهّد

بِصدق وإخْلاَص ببَذل ما في وسْعي لِجْمعِ الشّمْل.... الكلّ مُطالب بالمُشاركَةِ حسبَ الطّاقةِ والإمْكَانات بِمَا أوتي منْ قُوّة وإخْلاصٍ في إزالة أسْبابَ الفُرقة والتّناحرِ.....فلا بد لنا جميعاً أن نتداركَ الوعْي بهذا الأمرِ، وأن نقتنعَ بأنّه من دونِ إعَادةِ الاعْتبارَ للعَملِ والاستحْقاقِ، لا يمْكن تَحقيق جدْوى تلكَ الأعْمالِ التّي لاَ مَناصَ من إنجازهَا بُغية عَقْلَنَة الإطَار التّنْظيمي للاقتصاد وتعْزيزه...أدْعو أبناء وطَني الحَبيب الّذي لا بَديل لَه لا لِهؤلاء ولا لهؤلاء، أدْعو كلّ الجزائريين رِجالاً ونساء إلى الإسْهامِ في هَذا العَمل الجَليل وبدونه مهمَا كَانت الوُعُود والأوْهَام لاَ سيادَة لهُم عَلى مَصيرهم بتاتا... إنّ هَذه الحَقيقة تقتَضي أوَّل ما تقْتضيه تَكْييف مَنظومَة التّكوين الّتي لاَ مَناصَ لهَا منَ التّفتّح أكْثر عَلى العالَم ومَا يَشْهَده من تطَوّرات...لا يُمكنُ تَحقيق جَدوى تِلكَ الأعْمَال الّتي لاَ مَناصَ منْ إنجازِها، بُغْية عَقلنة الإطار التّنظيمِي للاقتصَادِ وتَعْزِيزِه." (24).

فيما يلى نستخرج أهم الأفعال الإنجازية الواردة في مقاطع الخطاب السابقة:

أ-الوعد: مثل قوله: "...إن أولوية الأولويات في السياسة التي تستجيب لرغبات الأمة العميقة إنما هي العمل على استتباب السلم... أتعهد بصدق وإخلاص ببذل ما في وسعي لجمع الشمل..."

جاءت هذه الأفعال مباشرة وصريحة أحيانا، وغير مباشرة وضمنية أحيانا أخرى، فالفعل الآتي (أتعهد بصدق وإخلاص ببذل ما في وسعي لجمع الشمل)، هو فعل كلامي مباشر، كان الوعد أو الفعل الإنجازي فيه صريحا ومعبرا تعبيرا قويا عن وعدٍ يلتزم الرئيس بتنفيذه. في حين تعددت المعاني والمضامين التي حملها الوعد في الأفعال الكلامية الأخرى، وهذه المعاني هي أفعال إنجازية غير مباشرة يحددها السياق، وقد قننت التداولية آليات الحصول على المعاني الضمنية. فقد ميز غرايس(1975) بين المعنى المعلن والمعنى المضمّن، مثل قول الرئيس: **(وعلى هذا الأساس لا مناص لي من التأكيد بأن أمن الأشخاص والممتلكات من صميم مسؤولية الدولة.)**، فالمعنى المعلن أو الفعل الإنجازي المباشر من وجهة نظر أوستن، هو التأكيد والتقرير، لكن هذا التقرير يحمل بين ثناياه معنى ضمنيا أو فعلا إنجازيا غير مباشر هو الوعد، فالرئيس من خلال هذا المقطع يَعِدُ بحماية الممتلكات والمواطنين، وقوله أيضا: **(إن أولوية الأولويات في السياسة التي تستجيب لرغبات الأمة العميقة إنما هي العمل على استتباب السلم)** فهو يَعِد ضمنيا بالعمل على استتباب الأمن.

فالهدف من التضمين، والإخفاء، واللعب بالكلمات، التي يعمد إليها الخطاب هو التأثير في المتلقي، وحمله على التغيير، والفعل في الواقع، لذلك تلجأ الخطابات ذات البعد الإقناعي إلى توظيف الأفعال الإنجازية الضمنية، لما لها من قدرة على الفعل في المتلقي، لأنها تجعله يُعمل فكره للبحث عن المعاني المقصودة عبر سلسلة من التأويلات، والاستدلالات اللغوية والسياقية والمقامية.

ب-الأمر: مثل **قول الرئيس:**..."الكل مطالب بالمشاركة حسب الطاقة والإمكانات بما أوتي من قوة وإخلاص في إزالة أسباب الفرقة والتناحر... فلا بد لنا جميعا أن نتدارك الوعي بهذا الأمر وأن نقتنع بأنه من دون إعادة الاعتبار للعمل والاستحقاق لا يمكن تحقيق جدوى تلك الأعمال التي لا مناص من إنجازها... أدعو أبناء وطني الحبيب الذي لا بديل له لا لهؤلاء ولا لهؤلاء، كل الجزائريين رجالا ونساء، إلى الإسهام في هذا العمل الجليل..."

جاء الطلب وهو فعل إنجازي غير مباشر، بأسلوب أمري أقل حدّة، مثل قوله: (الكل مطالب..لا بد لنا جميعا أن نتدارك...أدعو أبناء وطني الحبيب...)، وكان من الممكن أن تعرض هذه الأفعال كالآتي: **(شاركوا، تداركوا، ساهموا، اجمعوا)**، لكن الموقف لا يحتمل أفعالا إنجازية مباشرة، لذلك كان الرئيس مراعيا لمقام الخطاب، وللمتلقين، كما كان أكثر دبلوماسية، وأكثر تأثيرا في المتلقي.

جـ-النداء: في قوله:"... **أيتها السيدات، أيها السادة...** " وقد كانت **هذه الجملة لازمة تتكرر باستمرار**، بعد كل مقطع، لتأكيد الفكرة الرئيسية للخطاب، ولفت انتباه الجمهور إليها، وإلقاء الضوء عليها وعلى غيرها من الأفكار، ولفت الانتباه إلى أهمية ما يقال...وتقريب المسافة النفسية بينه وبين الشعب. فقد كان النداء مباشرا، واضحا يهدف إلى إسماع صوت الرئيس.

د-النفي: ويظهر من خلال **قول الرئيس:** "...لا مناص لها من التفتح أكثر على العالم وما يشهده من تطورات...لا يمكن تحقيق جدوى تلك الأعمال التي لا مناص من إنجازها، بُغْية عَقلنة الإِطار التّنظيمِي للاقتصَادِ وتَعْزِيزِه...".

نلاحظ أن النفي جاء مباشرا، يحث على فعل أشياء وترك أخرى، لكنه يحمل في ثناياه طلبا غير مباشر، كان هو المقصود من الخطاب، فيه إشارة إلى ضرورة مواكبة التطورات الحاصلة على المستوى العالمي سياسيا، وثقافيا، واجتماعيا، وعلميا، واقتصاديا (العولمة).

هـ-الاستفهام: قال الرئيس: اللهم أشهد على أنه لا شيء أكْرَه إلي، ولا أمقت، ولا أكثر بغضا، من إراقة دماء المسلمين وبَني الإنسان.اللهم اشهد على أنني لا أفهم كيف يقتل الجزائري جزائريا مثله؟، وكيف يُخَرّب الجزائري بيته بنفسه؟ اللهم أشهد على أنني لا أحب السّجون، ولا تقييد الحريات، ولكن ما حِيلَتي يارب في حقوق المجتمع في الدفاع عن نفسه؟. أوَ مَا قُلْتَ يا رب وأنت أصدق القائلين"من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا"؟.."[25].

عدل الاستفهام في هذا الخطاب عن معناه الحقيقي، وأدى معاني مجازية أخرى كثيرة. فكل الأسئلة التي وجهها الرئيس لا تبحث عن إجابة لأنه استفهام غير مباشر وهو موجه للمتلقي لا للإجابة عليه، لأن الرئيس لا يطلب الفهم لنفسه وإنما لإفهام الجمهور وإبلاغ أفكار معينة بطريقة غير مباشرة، ولتبرير مواقف، ولإقناع الجمهور بالإجراءات المتخذة.. وهو ما يعرف **بالاستفهام البلاغي** الذي لا يُنجز إلا على مستوى الخطاب ولكن تأثيره يتجاوز الخطاب إلى الواقع نظرا لقوته التواصلية والإبلاغية.

جاء **الاستفهام** من الناحية التركيبية الدلالية مباشرا، لكنه من ناحية التلقي كان غير مباشر، لأنه لا يطلب الإجابة من الجمهور، بل بقي إنجازه على مستوى الخطاب فقط وأفاد عدة معانٍ أخرى يمكن أن تفهم، من السياق العام للخطاب، أهمها **الطلب، الذي شكل فعلا إنجازيا غير مباشر.**

حيث يختلف القصد من السؤال باختلاف الموقف الخطابي، وعليه فإنّ الإجابة تختلف باختلاف الغرض من السؤال (...وباختلاف النتيجة المقصودة يختلف، رد الفعل الذي يحدثه السؤال، وتتغير كليا قيمة اللفظ (Enoncé)...). فاللفظ يجب أن تتوفر فيه صفات معينة، داخل الخطاب، يسميها أوستين (صفات داخلة في القول illocutionnaire)[26]، وهي صفات تتعلق بالسياق اللغوي للخطاب، كفيلة بتحديد قيمة اللفظ فيما إذا كان سؤالا بلاغيا، أو سؤالا يطلب الإجابة من الطرف الآخر، الذي يُفترض أن يجيب مهما كان الغرض من السؤال، لأنّ المتكلم من خلال سؤاله يدفع مستمعه إلى الكلام بشكل أو بآخر، فثمة «...فائدة إذا في التمييز بين صفة السؤال التي يتمتع بها الفعل الحاصل، وبين كل الصفات الأخرى التي قد تضيفها إليه نوايا المتكلم...»[27].

5- القوة الإنجازية (Force illocutoire):

ترتبط القوة الإنجازية بالغرض الإنجازي، أو الغرض من الكلام، وبظروف استعمالها وسياقاتها، وبتعبير أدق القوة الانجازية هي «... الشدة أو الضعف اللذان يمكن أن يُعرض بأحدهما غرض إنجازي واحد في سياق بعينه،

من سياقات استعمال اللغة...»[28]. وهي التي تحدد قوة الفعل الإنجازي، أو ضعفه لأنه «... يمتلك أغراضا إنجازية متباينة بتباين استعماله، فمثلا غرض الطلب الإنجازي يَعرف قوى إنجازية عدة تمتد من الأمر المباشر حتى التمني...»[29].

ولتوضيح مفهوم القوة الإنجازية ندرج المثال الآتي، وهو مقطع للرئيس مأخوذ من الخطاب الذي ألقاه أثناء آدائه اليمين الدستوري.

قال الرئيس: ".....الكل مُطالب بالمشاركة حسب الطاقة والإمكانات، بما أوتي من قوة وإخلاص، في إزالة أسباب الفرقة والتناحر، وإذّاك سيتفرغ الجميع لإرساء الركائز التي تُمَكّن من انطلاقة جديدة قوامها احترام كل المناهل والقناعات...."[30].

يشكل المقطع **فعلا كلاميا**، موضوعه، ومعناه المباشر، مطالبة الكل بالمشاركة، في إزالة أسباب الفرقة والتناحر، من أجل غد أفضل، وفعله الإنجازي هو **الأمر غير المباشر** الذي يظهر من خلال قول الرئيس: "...**الكل مطالب** بإزالة أسباب الفرقة..."، أما غرضه الانجازي فهو الطلب، والقوة الإنجازية هي كل الاحتمالات التي يمكن أن نعرض بها الموضوع، والغرض الإنجازي من الخطاب، فإذا كان الطلب أمرا مباشرا وصريحا، فستكون قوته الإنجازية عالية، أما إذا كان التماسا، أو استفهاما، أو دعاء، فإن قوته الإنجازية قد تضعف، مع أن الدعاء والتمني والترجي قوى إنجازية قد تكون أكثر تأثيرا في المتلقي في مقامات وسياقات معينة.

يمكن أن يُعرض الموضوع أو الغرض الإنجازي لهذا الفعل الكلامي بِقِوَى إنجازية عدة حيث بإمكان الرئيس أن يطلب من الشعب المشاركة في نشر السلم والسلام، باستعماله صيغة الأمر المباشر: كأن يقول مثلا: **(شاركوا** بكل طاقاتكم**)**، أو من خلال الاستفهام مثل قوله: **(هل** تشاركون بكل طاقاتكم**)**، أو من خلال التمني، **(ألا** تشاركون بكل طاقاتكم.**)**، أو الدعاء **(لو** تشاركون بكل طاقاتكم**)**.

فالأمر المباشر، والاستفهام، والتمنّي، والدّعاء... مجموعة احتمالات لقوى إنجازيّة يمكن أن يُعرض بها الغرض الإنجازي لهذا المقطع من الخطاب.

6- السياق: (contexte) السياق هو الإطار العام الذي يحكم استعمال اللغة، وفق خصائص لغوية وغير لغوية. ولقد شكل هذا المفهوم في الدراسات التداولية نقطة ارتكاز، تتحدد من خلالها مختلف الأفعال الكلامية، خاصة الإنجازية منها.

لذلك يكثر الحديث في المقاربة التداولية عن العرف الاجتماعي، والثقافي، والخصائص النفسية للمرسل والمتلقي، والقصد والنية، والموقف الخطابي، والمعارف المشتركة... وغيره من الآليات التي تحدد معالم الأفعال الإنجازية، والكيفية التي تشتغل بها اللغة، والخطابات والنصوص، والأدب بصفة عامة، وقد اتجهت الدراسات التداولية إلى دراسة الخطابات والنصوص باعتبارها منجزات لغوية «... في إطار التواصل، وليس بمعزل عنه، لأن اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه، فليست وظائف مجرّدة، وبما أن الكلام يحدث في سياقات اجتماعية، فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز...»[31].

لتوضيح أهمية السياق في التحليل التداولي للخطاب، نتوقف عند المقطع التالي من الخطاب السابق، "خطاب التصويت بنعم على الاستفتاء حول الوئام المدني والمصالحة الوطنية":

قال الرئيس: ".....ها هو ذا الشعب الجزائري قال قوله الفَصْل، واخْتار أن يَقُول، بالصّراحَة والجَهر: نَعَم للمسعى الشّامل الذي اعتمدناه من أجْل استعادة السّلم والوئام المدني. فضْلاً عن وضوح معنى الاختيار، إنّ

الشّعب قد عبّر بمشاركته العَارِمة في التّصويت الّتي لمْ يَسْبق لهَا مَثيل مُنْذ استعادة الاسْتقلال الوَطني، تعبيرا بليغاً، وزَفّ من خلال ذلك رسالةً، لا مثلها رسالة، إلى كلّ أولئك الّذين ظنّوا أنّه شعب لا رشد له، إلى كلّ أولئك الّذين ظنّوا أنّه لا قدرةَ له على الخروج من غَفْوَته...."[32].

تنوعت واختلفت السياقات التي احتضنت هذا الخطاب، وأسهمت في بنائه ونسجه على أساليب بعينها، تراعي خصوصية هذه السياقات وتنوعها، وتداخلها بين ما هو سياسي، واجتماعي، وثقافي، ونفسي، وتاريخي،..ونحن نعلم أن البلاد كانت تعيش في تلك الحقبة، ظروفا صعبة نتيجة عدة تغيرات وظواهر دخيلة علينا وعلى مجتمعاتنا العربية الإسلامية، كظاهرة الإرهاب وما نجم عنها من عنف لا مبرّر له. فلقد عاشت الجزائر أثناء التسعينيات ظروفا صعبة، من الناحية الأمنية، وانعكس عدم الاستقرار الأمني على الجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي. مما جعل الجزائر عرضة لعدة أزمات داخلية وخارجية، كان الهدف منها زعزعة استقرارها، واستهدافها داخليا وخارجيا، من خلال، أعمال عنف داخلية، وعدة تصريحات خارجية، وضعت البلاد في مواقف حرجة أمام الرأي العام الخارجي. **وقد شكّلت كل هذه الظروف وغيرها، السياق العام لهذا الخطاب**، وغيره من الخطابات التي توالت فيما بعد، وكلها تتحدث عن أوضاع الجزائر الأمنية، في تلك الحقبة والتحديات والرهانات، التي تنتظر البلاد لاستعادة الاستقرار والسلم.

7- المقام:(situation) المقام في الدراسات الحديثة: «...مفهوم يمكن تضييقه كما يمكن توسيعه، فحدوده الدنيا هي تصور متخاطبين في زمان ومكان معينين، وهذه الحدود الدنيا يمكن أن نعبر عنها لغويا على نحو صريح كما يمكن ألا نعبر عنها...»[33]. والحدود الدنيا التي تحدث عنها ليفنسون (Levinson) أثناء تحديده للتداولية انطلاقا من المقام، هي:(...حدود علم الدلالة، أما الحدود القصوى التي لا يمكن للتداولية اللسانية أن تتخطاها فهي اللسانيات الاجتماعية وربما النفسية...»[34] وبالتالي يُسهم المقام إسهاما كبيرا في تحديد معاني الأفعال الكلامية، كما يلعب دورا مهما في عملية التأويل التي يقوم بها المتلقي، فالمقام يزيل الغموض ويشرح ويفسر الخطابات بما هو خارجي.«..**فللمتكلم والمخاطب اعتقادات وانتماءات اجتماعية ومواقع داخل مؤسسات (كالأسرة، والإدارة، والمدرسة، والمعمل،...)، وهذه المعطيات المقامية تتدخل لتحديد المقصود في كثير من الجمل وهي بهذا جزء من المستوى التداولي...**»[35]، وقد اهتمت الدراسات التداولية بالمقام، واعتبرته قضية مهمة لأن مختلف مستويات التحليل، التي تعتمد على التأويل والاستدلال، لكشف المضمر، والضمني من المعاني، تخضع للمقام أولا ثم للسياق ثانيا، لأن السياق أشمل من المقام، ولذلك كثيرا ما **يقف التداوليون عند ما يسمونه** " **سياق الموقف التواصلي**" وهو ما سنوضحه من خلال المثال الآتي:

قال الرئيس السيد عبد العزيز بوتفليقة، في كلمة قالها في مأدبة عشاء أقامها على شرفه، فخامة الرئيس (ثابومبيكي)، رئيس جنوب إفريقيا، "كاب تاون" 2001/10/16، (لقد قَوِيَت شَوْكة الإرهاب الدّولي الذي سبق له وأن ضرب بوحشيّة مبرحة بلدانا كثيرة ومنها الجزائر. الآن جعلها تطال الولايات المتحدة الأمريكية، وتهدّد البلدان الأشدّ قوة والأكثر ثراء. تلك البلدان التي كانت إلى حد الآن غافلة عن الخطر الذي يمثّله، أو مُستخّفة بما ينجم عنه من الآثار والعواقب...لقد استشرى الإرهاب وأصبح آفة تزرع الأرْزاء والمآسي بين أبناء البشريّة جمعاء، وعليه يجب حشد كل الوسائل لمكافحته...)[36].

مقام هذه الكلمة هو مأدبة العشاء التي أقامها فخامة الرئيس (ثابومبيكي)، رئيس جنوب إفريقيا، "كاب تاون" 2001/10/16، على شرف الرئيس الجزائري (نلاحظ أنه مباشرة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001).

فقد كان سياق الموقف التواصلي مرتبطا بالسياسة الدولية وموقفها من محاربة الإرهاب قبل 11 سبتمبر 2001، ولذلك استغل الرئيس المقام (كان خارج الوطن) لإبداء وجهة نظره تجاه السياسة الدولية، وموقفه من بعض قضاياها، وعلى رأسها الإرهاب العابر للدول والقارات، حيث استعمل الرئيس لغة خاصة، تميزت بالوضوح والمباشرة، لغة قوية وغنيّة، بمفاهيمها، وأفكارها ومصطلحاتها، **مثل:** (الوحشية، والإرهاب، والخطر، والأرزاء، والمآسي، والعواقب الوخيمة، والعولمة، والقوة، وحشد الوسائل، ومحاربة الإرهاب، والعلاقات الدولية...إلى غيرها).

وعلى هذا النحو جاءت لغة الخطاب سهلة، **مراعية للمقام ولسياق الموقف التواصلي**، فلا يكون مناسبا لو تحدّث الرئيس في هذا المقام، وهو خارج الوطن، على قضيّة وطنيّة داخلية بحتة، أو جزئية تتعلّق بتفاصيل التنمية المحليّة مثلا، إذ لكلّ مقام مقال.

8-القصد أو (القصدية): (Intention) لقد استثمر أوستين مبدأ (القصدية) «... في دراسة ظاهرة "الأفعال الكلامية" وقام تلميذه سيرل بنفس الصنيع حينما اتخذه معيارا أساسيا لتصنيف القوى المتضمنة في القول...»[37]. لذلك عُني القصد باهتمام كبير في الدراسات التداولية المعاصرة، حيث تناولت هذه الدراسات «...قضية المقاصد والنوايا في الخطاب الأدبي، واللغوي عموما، في إطار دراستها لقضايا الأفعال الكلامية وهي قضايا تدخل في صميم البحث عن مقاصد المتكلم في الخطاب، وهي مقاصد تختلف باختلاف نوايا المتكلم والوضعية السياقية التي تكشف خطابه... »[38]. وربما أهمية هذه القضية تكمن في المسافة بين القول، والمقصد وطبقات المعنى المتعددة، بين معنى مباشر حرفي...والفعل الذي ينجزه المتكلم في السياق، فالمتكلم لا يقول ما يعنيه في كل مناسبات الكلام على نحو مباشر...»[39]، بل هناك أفعال كلامية غير مباشرة تحتاج لتأويل المتلقي حتى يصل إلى المعاني التي يقصدها المتكلم، يعتمد في تأويلها على جملة من المعطيات من بينها السياق بأنواعه، والعرف الاجتماعي، وكيفية فهمه لما سمعه، وقصد المتكلم... الذي يصعب تحديده إلا وفق معطيات معينة كالمعارف المشتركة بين المرسل والمتلقي.

وللتوضيح أكثر، نعرض مثالا تطبيقيا هو مقطع من كلمة للرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة، ألقاها بمناسبة افتتاح الملتقى الدولي الأول حول الفيلسوف الجزائري الأصل"سانت أوغستين" **و**الحوار بين الحضارات 2001.

قال الرئيس: "....إنّ الجزائرَ وهي تَتَشرّف باحْتِضان هذا المُلتقَى الكَريم، إنّما تُسجّلُ مُسَاهَمتهاَ في السّنة الدّولية للحوار بين الحضارات التي أقرّتها هيئة الأمم المتّحدة بمبادرة من الرّئيس الإيراني محمّد خاتمي.إنّه لشَرف لي وقد انزلتموني منزلا كريما بين عُظماء كِرَام أن استهل أشغال هذا الملتقى، وأشير إلى ملاءمة هذه التّظاهرة الهامة، من خلال التّطرق إلى التّحديات الجوهرية، المرتبطة في عصرنا هذا بالحوار بين الثّقافات والحضارات... إنّ العالم الإسلامي واع بهذه النّظرة المقلّلة المقلّصة للآخر، تلك النّظرة الّتي هي مَنبع ظاهرة العُنصريّة، والّتي تطبع في الفتْرة مَا بعد الاسْتِعمار، المُعاملة المُجحفة التي يُعَامِل بها الغرب الشّعب الفلسطيني. وتتجلّى هذه النّظرة أيضا في عدم اكْتراث الغرب أو يكاد لا يكترث للمأساة الّتي يعيشها ملايين من الأطفال والنّساء والرّجال العراقيين، الّذين يعانون أشدّ المعاناة نتيجة الخطر الظّالم غير الإنساني المفروض على بلادهم."[40]

القصد أو النية، هو الغرض الذي من أجله أنشئ الخطاب، وقد يكون ضمنيا، أو صريحا، فمن خلال التعرف على القصد من الخطاب، أو الكلام بصفة عامة، نتمكن من تحديد المعاني المقصودة، والضمنية، التي يريدها المتكلم، ويسعى إلى إيصالها، وتمريرها عبر جملة من الرسائل المبثوثة في الخطاب. «...ويتضمن القصد عدة

أهداف يسعى إليها المتحدث منها: الإقناع، والإرشاد، والإخبار، والتبرير، والمكاشفة أو الصراحة، وإثارة الحماس،...و يأخذ شكلين أحدهما صريح، والثاني ضمني خفي، كما يلي:

أ-القصد الاتصالي الصريح: وهو الذي يصرح به المتحدث صراحة للجمهور موضحا الهدف من وراء الخطاب.

ب-القصد الضمني الخفي: وهو الذي يضمره المتحدث، ولا يصرح به، ويومئ إليه بالإشارة والتلميح، ويفهم من فحوى السياق...»[41]، وسنحاول توضيح المقصد من الخطاب السابق ذكره من خلال الجدول الآتي:

جدول رقم (03): أنواع القصد نماذج وأمثلة

القصد:(الغرض من الخطاب)	القصد الاتصالي الصريح	القصد الضمني الخفي
الغرض من الخطاب هو إحداث التغيير على مستوى الواقع الفكري والسلوكي فيما يخص مجموعة من القضايا التي شكلت ولازالت تشكل حجر الأساس في بناء الشخصية العربية والغربية على حد سواء، لأن الإيديولوجية الفكرية تلعب دوراً مهما في إطار أية عملية تحديث، وتجديد، وتغيير وترتكز في بنائها على خلفيات تتنوع بين الاقتصاد والاجتماع والثقافة والدين، لتعبر بشكل واضح عن أقصى الطموح الذي يهدف إليه المتكلم من خلال خطابه، والذي تهدف إليه أيضا أية أمة من الأمم، تسعى إلى تغيير نظرة الآخر، أو الحضارة الغربية للحضارة الإسلامية، ولكل المجتمعات العربية بما في ذلك المجتمع الجزائري. وكذلك السعي إلى إيصال وجهة نظرنا حول مجموع من القضايا للرأي العام العالمي، والتأكيد على أننا شعوب لديها حضارة عريقة أسهمت في دفع عجلة التطور عبر مر العصور. وقد استخدم الرئيس في ذلك عدة أساليب لغوية منها (الاقتراح) كاقتراحه لمجموعة من الحلول للمشاكل الرئيسة التي أدت إلى هذا التصدع الثقافي، والإخبار من خلال استحضاره لعدة قضايا وتحليله لمجموعة من الوقائع،	أ- ويتمثل في الدعوة إلى الحوار بين الحضارات تلبية للدعوة العالمية من هيئة الأمم المتحدة، ب- مشاركة الجزائر في السنة الدولية للحوار بين الحضارات. ج- التعريف بالفيلسوف أوغستين وأعماله وفكره، كون الخطاب يعد افتتاحا للملتقى الدولي حول مسيرة وإسهام القديس أوغستين في الحضارة الإنسانية. ويظهر ذلك جليا وصريحا في **قول الرئيس:**(إن الجزائر وهي تتشرف باحتضان هذا الملتقى الكريم إنما تسجل مساهمتها في السنة الدولية للحوار بين الحضارات **التي أقرتها هيئة الأمم المتحدة. وقوله أيضا:** (إنه لشرف لي وقد أنزلتموني منزلا كريما بين عظماء كرام أن أستهل أشغال هذا الملتقى وأشير إلى ملاءمة هذه التظاهرة الهامة من خلال التطرق إلى التحديات الجوهرية) المرتبطة في عصرنا هذا بالحوار بين الثقافات والحضارات...)، **وقوله أيضا:**(كما أود أن أشير في موضوع هذا الملتقى"أي شخصية الفيلسوف أوغستين وفكره" إلى مدى تأثيره في الجزائر والصدى الذي تركه في هذه البلاد...). د-الدعوة الصريحة للحوار مع أنفسنا	عمد الرئيس إلى تضمين خطابه بمجموعة من الأفكار والمضامين المضمرة، عبر لغة تداولية تهدف إلى الإقناع، وإحداث التغيير، متوسلة كل أساليب التأثير في المتلقي، كألعاب اللغة، والإيحاء، والتلميح، لذلك فكل الخطابات تلجأ إلى التضمين لقدرته على الإقناع، والتأثير وأحيانا ما يكون التضمين أشد وقعا على المتلقي من المضامين المباشرة... ولعل هذا الخطاب، ومن خلال المقطع الذي أوردناه، فيه من التضمين ما يجعل المتلقي مشدودا لاكتشاف المعاني والمضامين المضمرة. لذلك فقد أشار الرئيس ضمنيا إلى: أ- موقف الجزائر من قضية الحوار بين الحضارات، وأكد في أكثر من موقف على أنها بلد يناهض كل حركات التطرف والاستعمار. ب- مناداة الجزائر بحقوق الإنسان ومساندتها لكل الشعوب المستضعفة. ج- رصيد الجزائر الثقافي والعلمي والحضاري، ودورها في الحوار بين الحضارات. د- التعريف بتراثنا ودیننا وتاريخنا وحضارتنا العربية الإسلامية. هـ-الإشارة أيضا إلى الإرهاب من خلال حديثه عن الحركات المتطرفة.

والحقائق التاريخية والدينية والاجتماعية والثقافية. كما اعتمد أسلوب المكاشفة أو الصراحة، لأنه كان صريحا فيما يخص حديثه وتشريحه للواقع العربي الإسلامي أثناء عرضه للأسباب التي أدت إلى التصدع الثقافي والنظرة الخاطئة للغرب اتجاه كل ما يتعلق بنا وبتراثنا، كما كان صريحا أيضا في طرحه للأسباب التي أدت إلى نمو الحركات المتطرفة في مجتمعاتنا. وعمل أيضا على خلق جو من الحماس بحديثه عن القضية الفلسطينية والشعب العراقي.	نحن المسلمين من خلال **قوله:**(ومن ثمة ينبغي أن يكون الحوار بين الحضارات الذي نحتاج إليه نحن المسلمين حاجة ماسة ملازما لحوار مع أنفسنا وداخل مجتمعاتنا...حوار موجّه نحو تحرير مجال الحريات وإعادة القيمة لمبدأ التمييز لنتفتح من جديد على العالمية ونسترجع مكانتنا في السباق نحو التقدم العالمي...).	و–الإشارة ضمنيا إلى الوضع الذي عاشته الجزائر بسبب هذه الحركات المتطرفة. ز–الدعوة للسلم والمصالحة، قصد تغيير نظرة الغرب إلينا ولديننا الحنيف. ح– تبيان موقف الجزائر من عدة قضايا كالقضية الفلسطينية وما يحدث في العراق. فالخطاب كله دعوة صريحة للتغيير والتجديد، والثورة على الأوضاع السلبية السائدة داخليا وخارجيا، ودعوة أيضا للانفتاح الإيجابي على العالمية.

المصدر: الجدول من إنشائنا بالاعتماد نماذج وأمثلة مختارة

9- متضمنات القول:(les Implicites) وهو مفهوم تداولي إجرائي، يبحث في بعض جوانب الخطاب الضمنية، والقوانين والعلاقات الخفية التي تحكم الخطاب، مثل المقام، والسياق.. لأن الخطاب «... لا يعني دائما التصريح، بل يعني أحيانا حمل الشخص الذي يوجه إليه على التفكير في شيء غير مصرّح به، وهو كلام متضمن في القول الصريح..»[42].

وللتوضيح أكثر نورد مثالا، من خطاب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة المتعلق بالوئام المدني:

قال الرئيس: (إنّ السّلم الّذي كُنتم بالأمْس تَدْعُون إليه هو اليَوم، بالفعْل، في طَريقِ الإنْجَازِ، لكنّ استكمَاله مازال بعيدَ المَنال، فَلا ينْبغي أنْ نَكتفِي بالنّجَاحِ البَاهِر للاسْتِفتاءِ والتّغَنّي بِه، لأنّه يجب أن نعرف، اليوم، بأنّه لا يَصِلنا من ثِمار السّلم إلاّ عطْرُها....)[43].

يتضمن هذا المقطع عدة معانٍ وعدة احتمالات، فقد نفهم من المقطع، أن المتلقي الذي يتوجه إليه الرئيس بخطابه، كان في الماضي يفتقد إلى السلم، وكان يدعو إليه، وهو ما يشير ضمنيا إلى المساعي والمبادرات السابقة لإحلال السلم والأمن، من قبل مختلف أطياف الطبقة السياسية، في الموالاة والمعارضة، والمثقفين وعموم الشعب وغيرهم...كما يشير ضمنيا أيضا إلى أطراف أساسية في عملية السلم، خاصة المغرّر بهم، ومن أعلنوا التوبة، ويشير أيضا إلى ضحايا الإرهاب، وإلى أفراد القوات الأمنية التي بذلت الكثير من أجل محاربة الإرهاب، إن الرّئيس يوجّه رسائل ضمنية في جميع الاتجاهات، كما لا يستثني توجيه الخطاب إلى أطراف خارجية كانت تتابع وتترقب ما كان يجري في الجزائر، بعضها متعاطف وبعضها غير ذلك،...

متضمن القول في الخطاب أيضا: إن المتلقي الذي كان يعيش مرحلة عدم استقرار، سيتجاوزها، بفضل مشروع هو في طريق الإنجاز، ولتحقيق هذا المشروع وإنجازه، لا بد من تضافر الجهود والطاقات، اقتصاديا، واجتماعيا، وسياسيا، وثقافيا...من أجل رفع شعار التحدي والتغيير، وإحلال السلم، والسلام، والتنمية الشاملة... فهناك الكثير من المعاني الضمنية المضمرة، التي لا يمكن الكشف عنها إلا من خلال عمليات استدلالية نعتمد

فيها على السياق، واللغة، والمقام، وعلى المرسل والمرسل إليه أيضا... وهو ما يجعل متضمنات القول نوعين هما:

أ-الافتراض المسبق:(pré supposition) ويعرفه ديكرو(Ducrot) بأنّه أحد العناصر الدّلالية الخاصة بالقول، فهو إحدى العلامات اللغوية التي يحتويها القول...[44] ففي كل نشاط لغوي تواصلي ينطلق المتخاطبون من معطيات وافتراضات مسبقة متفق ومتعارف عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفية والمرجعية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبُنى التركيبية العامة...[45]. والافتراض المسبق ضروري لنجاح التواصل، والكشف عن المعاني المختلفة في الخطاب، وتتحدد الافتراضات المسبقة من خلال جملة من المعطيات، اللغوية اللسانية المتعارف عليها بين المرسل والمتلقي.

وتكمن خصوصية الافتراض المسبق حسب (ديكرو) في الطريقة التي يَفرض بها «... على المخاطب إطارا لاستمرار الخطاب: يجبره على الفعل وكأن محتوى الافتراض حقيقة مؤكدة لا يمكن أن يعاد النظر فيها...»[46]، والمقطع الآتي من الخطاب السابق للرئيس عبد العزيز بوتفليقة يوضح ذلك"

قال الرئيس: (...سَاعِدوهُم على تصْويب وِجْهتهم شَطر المُستقبل الّذي اخْتاروا بناءَه معَكُم... انْبُذوا من قَاموس لغتِكم تلكَ الكَلمات الجَارحَة عبثا، فلَيْس هُناك مَكانٌ في فِكرة الوئام المدني لشَيء يسمّى الاستسلام ولا التوبة، لأنّ الوئامَ قائمٌ على الاحْترام المُتبادل والتّضامنِ لا غير.)[47].

يحتوي المقطع على أفعال إنجازية مباشرة تظهر من خلال الأمر المباشر في قول الرئيس: **(ساعدوهم، انبذوا..)** وهو ما يَفترض أن يكون للخطاب تأثير على المتلقي، لاعتبارات كثيرة منها: مكانة المرسل وهو رئيس الدولة، بإمكانه توجيه خطابات مباشرة وصريحة، كما يَفترض أيضا أن يكون للمتلقي القدرة على تنفيذ الأمر، وتأويل الخطاب للوصول إلى المعاني الضمنية، وتحديد قصد الرئيس وهدفه.

وبما أن الافتراضات المسبقة تتحدد من خلال لغة الخطاب وعناصره البنائية التركيبية، والصرفية والصوتية والدلالية، فإن ما يفترضه هذا المقطع هو ضرورة تقديم المساعدة لمن غُرِّرَ بهم، وحادوا عن طريق الصواب، وإشعارهم بأن هناك مستقبلا جديدا ينتظرهم، كما يفترض أيضا أن فئة من الشعب الجزائري، تبحث عن الصفح، والاستقرار، بعد التيه والضلال...

ب- الأقوال المضمرة:(Les sous entendus) بينما تتحدد الافتراضات المسبقة وفق أسس لغوية بحتة، ترتبط الأقوال المضمرة بوضع الخطاب ومقامه، وترتبط خاصة بالسياق الثقافي، والاجتماعي، والنفسي،... الذي يضمن تحقق الخطاب في الواقع، لأن القول المضمر هو جملة المعلومات التي يحتويها الخطاب، وبالتالي تتعدد المعاني وتنفتح على جملة من التأويلات التي نستشفها من خلال المعطيات السياقية والمقامية، التي ينجز ضمنها الخطاب. والفرق بين القول المضمر وبين الافتراض المسبق، أنّ الأول وليد السياق الكلامي والثاني وليد ملابسات الخطاب[48]، فهو يعتمد على التأويل بالدرجة الأولى. وللتوضيح نورد المثال الآتي، وهو مقطع من الخطاب الذي ألقاه الرئيس أثناء أدائه اليمين الدستوري، والكلام موجه في هذا المقطع للرئيس الذي سبقه، السيد اليمين زروال:

مثال 1: قال الرئيس: " لقد كُتب للدّولة الجزائريّة تحت رئاستكم أن تَنجو من كارثة الانْهيار وهي الكارثة الّتي كانت قاب قوسين أو أدنى من الوقوع، وفي نفس الوقت كانت محلّ تأويلات هنا وهناك.. "[49].

يقدم هذا المقطع مجموعة من المعلومات، ويفتح قائمة من التأويلات والاحتمالات، والمعاني المضمرة منها:

–أن الجزائر كانت على وشك الانهيار...–أن الجزائر قد نجت من الانهيار.

–أن الجزائر طوت صفحة سوداء مظلمة، وهي تفتح صفحة جديدة...–أن كثيرا من الأطراف الداخلية والخارجية كانت لها مواقف غير عادلة تجاه الأزمة الجزائرية...–أن الرئيس الجديد سيواصل ما بدأه الرئيس السابق من منجزات، ويبني عليها (الاستمرارية)..._ أن الجزائر ستعيش مرحلة من الازدهار، على مستويات عديدة... –دعوة إلى البناء، والعمل الجاد، وتوحيد الصفوف....هذه أمثلة، وهناك أيضا كثير من المضمرات التي يمكن أن تستخلص من المقطع السابق، والتي يرتبط تحققها بملابسات الخطاب والسياق...

مثال 2: في قوله أيضا: في نفس الخطاب السابق:

(...إن الجزائر تتمتع بإمكانات حقيقية وتمتلك القدرات البشرية الحيوية...وهي لن تكون إلا ما نريده لها أن تكون...**)** [50].

يمكن أن يُؤَوَّل هذا المقطع وفقا للموقف التخاطبي، والمقام الذي ورد فيه إلى مجموعة من الاحتمالات، والمعاني منها:

–الدعوة إلى العمل الجاد من أجل بناء الجزائر.–بإمكان الجزائر أن تكون من الدول المتطورة بفضل إمكاناتها، وتضافر الجهود لبناء مستقبل أفضل. –إرادة الشعب وإخلاص العمل، والغيرة على الوطن وحدها القادرة على بناء جزائر المستقبل كما نريدها نحن..–إعداد العدة وشحذ الهمم من أجل ذلك...

فقد خرج الخطاب عن معناه الحقيقي إلى عدة معاني استنتاجيه ذهنية يجتهد المتلقي في التعرف عليها، معاني ذات طبيعة غير مستقرة توافق الحالة التي تصدر عنها، كما تؤدي بالمخاطب إلى التخفي وراء المعنى الجانبي...[51].

لذلك **فإن الأقوال المضمرة ترتبط بالمعاني الجانبية، وبالسياق العام للخطاب**، معتمدة على قوانين الخطاب الداخلية، فهي كل ما يمكن للكلام أن يحتويه من معلومات يمكن أن تتحقق في الواقع لكن هذا التحقق يبقى رهين سياق الحديث وخصوصياته.

10-الحجاج(L'argumentation) يتفاعل الإنسان، ويتواصل عبر مجموعة من الأفعال، والسلوكات، والمواقف التواصلية المتداخلة والمتشابكة لا تقتصر وظيفتها على التواصل فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى **التأثير في الواقع والتغيير في السلوك الإنساني من خلال الإقناع، والبرهنة، والاستدلال، والتأويل والحجاج....**

فالحجاج نشاط إنساني، لساني، يهدف إلى الإقناع والتأثير في المتلقي لتغيير موقفه إزاء قضية ما، وتبنيّ موقف جديد مغاير «...سواء كان هذا الموقف يقتصر على الإقناع الذاتي أو يقتضي فعلا ما. ومن ثم... فإن المحدد الأول للحجاج لا يتعلق بالشكل اللغوي أو بمحتوى الخطاب ولكن بوضعيته الكلية، فالنص الحجاجي لا يمكن أن يُعرف من خلال خصائص شكلية لغوية...»[52]، فقط وإنما نحتاج إلى مجموعة من الأساليب والأدوات الحجاجية اللغوية، ينضاف إليها الجانب الإقناعي، التأثيري الذي يستحضر بالضرورة أطراف العملية الحجاجية من مرسل ومتلق، وسياق ومقام، وقصد... يمثل الحجاج مستوى من مستويات التحليل التداولي، وآلية من آليات الإقناع، بل هو أقوى أساليب التأثير والإقناع، والاستدلال، والمحاورة واستحضار الطرف الآخر المشارك في الحوار، ومن ثم: «..الدخول في علاقة استدلالية تخاطبية مع الغير على مقتضى الادّعاء والاعتراض، حيث يتحدد الخطاب الحجاجي بوصفه خطابا استدلاليا، موجها لإقناع الغير بصواب أو بطلان دعوى أو أطروحة

ما...**الخطاب الحجاجي في جانبه التداولي هو خطاب محاورة** بين متكلم يقوم بدور المدعي ومخاطَب يقوم بدور المعترض،...»[53].

يقوم الحجاج على مبدأ الجدل والخطابة. «...نصادفه في الحوارات بين الأشخاص، وعلى صفحات الجرائد، وفي البرامج والمواد الإذاعية والتلفزية، ونتلمسه في النصوص والعروض الإشهارية، أو في المجلات واليوميات المتخصصة. بل إننا، في لحظات مختلفة، وظروف متباينة، نلجأ إلى الحجاج، لندافع عن قضية أو نُبَرِّرَ سلوكا، لنُدين أو نمدح، لنقف مع، أو ضد اختيار أو قرار. ونكون أيضا هدفا لحجاج الآخرين، في نفس السياقات وحول نفس المواقف،...»[54]، فالقيمة الحجاجية للخطاب، لا تنتج فقط من المعلومات التي يحملها، –(البنية التركيبية والدلالية)– وإنما يمكن للخطاب أن يستخدم عدة وسائل أو أدوات حجاجية، ليكون حجاجيا، حيث إنه يحمل في ذاته تعبيرا عن السمة الحجاجية، وهي سمة تتنوّع حسب المتكلمين وتبعا لأوضاع الخطاب...[55]، وتختلف باختلاف السياق وفهم المتلقي وكيفية تأويله للكلام. ويعتبر الإقناع هدفا من الأهداف الحجاجية بل إنّ الحجاج إقناع يقع بين ما هو حقيقي ومزيف و«...لابد أن يقع في مجال المحتمل، في المجال الذي يتميز بغياب وجود البراهين وإلا فلماذا نحتاج إليه...»[56].

إن الحجاج من هذه الزاوية قصدي يبحث عن المعنى الغائب عن ذهن المتلقي، والذي لا يريد استحضاره، وهنا يبرز دور المتكلم في محاولة لإقناعه، باستخدامه كل الوسائل الحجاجية الشكلية الأسلوبية، والمعنوية المضمونية، لاستمالته قصد التأثير فيه وتغيير مواقفه، ولا يكون ذلك إلا في سياق مخصوص ومقام محدد، مع أدلة وبراهين وحجج قوية.

والمثال التالي يوضح ما ذهبنا إليه: (مقطع من حديث للرئيس عبد العزيز بوتفليقة مع قناة التلفزيون اللبنانية"المستقبل"، الثلاثاء 9 نوفمبر 1999).

أ- الصحفية: (لدينا اليوم محنة في المنطقة، فنحن بلد محتل والمطلوب، وهذا شيء طبيعي، أن يقف العرب إلى جانب لبنان.).

ب- الرئيس: (نحن نقف بجانبكم يدون قيد أو شرط، إذا كان مجلس الأمن الذي هو غريب عنا يقف إلى جانبكم بقراراته من دون قيد أو شرط كيف تتساءلين عن موقف الجزائر.)[57].

استنتج الرئيس السؤال الضمني الذي لمّحت إليه الصحفية، حيث لم تسأله عن موقف الجزائر تصريحا، غير أنه استنتج متضمّن القول وأجاب بوضوح: "**نحن نقف بجانبكم، وموقف الجزائر في هذه القضية واضح دون قيد أو شرط**"، لأن السؤال المضمر الذي عبّرت عنه الصحفية كان مفاده: "**هل ستقف الجزائر إلى جانب لبنان في محنتها؟** وقد يكون أيضا "**أنتم لم تقفوا إلى جانب لبنان في محنتها؟**" ولقد استدل الرئيس على هذا المضمر، من السياق، واعتمادا على بعض قواعد المحادثة والحوار...ويظهر الحجاج في إجابة الرئيس من خلال بعض العناصر اللغوية مثل: (**إذا كان، أو، كيف؟**،)، وأيضا من خلال (المقارنة بين الجزائر ومجلس الأمن، والاستنكار، الذي يظهر من خلال السؤال الاستنكاري...)، فالرئيس كان يهدف إلى **التأثير في المتلقي المباشر وهو الصحفية، ثم كل من يتابع هذا الحوار**، عن طريق الحجاج اللغوي، الذي يسمح بالتدخل في آراء وسلوكات المتكلم أو المستمع، وذلك بحملهم على الاقتناع بها، فالحجاج ليس فقط البحث عن إقناع الغير ولكنه أيضا بناء نمط تمثيلي الغرض منه هو التأثير على المستمعين...»[58]، وتوظيف كل الآليات «...التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بالموضوعات المعروضة عليها، وأن تزيد في درجة التسليم بها...»[59].

خاتمـــة

نخلص من هذا البحث إلى النتائج الآتية:

1-التداولية مقاربة لسانية فكرية تهتم بدراسة مختلف استعمالات اللغة، وعلاقتها بمستعمليها والمؤولين لها، من أجل تحقيق التواصل والتغيير على مستوى الواقع، فتتحول اللغة إلى أداة لإنشاء واقعنا وحياتنا اليومية، من خلال الحجاج، والإقناع، والأفعال الكلامية، وغيرها... لذلك تسمى التداولية أيضا بعلم الاستعمال اللغوي.

2-تبحث التداولية أيضا في العلاقة بين المتكلم، والمتلقي وكل ما يترتب عن ذلك من علاقات تندرج ضمن التواصل (كالمقام، والسياق، والأفعال الكلامية، ومقاصد المتكلم، ولغة الجسد، وأغراض الكلام الضمني في الخطاب، وكل أساليب التأثير..) فهي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية...

3-عرفت التداولية جملة من المفاهيم الأساسية، أسهمت إسهاما فاعلا في تحليل الخطابات، وقراءتها من منظور جديد يتجاوز المستويات الشكلية البنيوية، إلى ما هو سياقي، ونفسي، واجتماعي، وثقافي، يسهم في تحديد المعاني المضمرة، والمسكوت عنها، وقصد المرسل، وتأويل المتلقي للخطاب، أو الكلام، ومن أهم هذه المفاهيم: الأفعال الكلامية والفعل الإنجازي –الذي تنبني عليه نظرية أفعال الكلام والتداولية بصفة عامة–، وما ينتج عنه من مفاهيم ثانوية مثل:(الاستلزام الحواري، والافتراض المسبق، ومضمرات القول...) إضافة إلى القوة الإنجازية، والحجاج، والقصد، والسياق، والإحالة، والعرف الاجتماعي، والمعارف المشتركة بين المرسل والمتلقي. وهي الآليات، أو الخصائص التي يتوسلها الخطاب للإقناع والتأثير، والسعي من أجل الوصول إلى ذهن المتلقي وفكره، لكسبه، والتأثير فيه، ولعل ذلك راجع للأبعاد النفعية، الحجاجية للخطاب.

هوامش البحث وإحالاته:

1- إنّ بار– هيلل (Bar–Hillel)، وهو أحد مؤسسي هذا المفهوم يرى أنّ تداولية اللغة المعاصرة، لا تجمع في ثناياها إلا طائفة من البحوث المنطقية/ اللسانية ذات الحدود الغامضة...ينظر: عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 400، أخذه عن: Encyclopaedia universalis pragmatique.

2- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية"، في التراث اللساني العربي. ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ص 26.

3- تعريف هربرت باركلي: ينطلق في تحديد مفهوم التداولية من خلال البحث في الأفعال الكلامية، واعتبار أنّ:...مهمة التداولية هي البحث عن شروط أفعال الكلام...ينظر: هربرت باركلي، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، ط1، وزارة الثقافة، سلسلة دراسات لغوية(1)، ص 110.

4- الحياة الاجتماعية كما عرفها كلود ليفي ستروس هي: «...نتاج العمليات التواصلية وذلك من خلال تنظيمات وهي تبادل المعلومات (بواسطة الكلام)، وتنظيم المنافع من (خلال الاقتصاد) وتنظيم الأشخاص (عبر الطقوس على شاكلة الزواج...ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين على غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، ط1، دار الحوار، سوريا، 2007، ص 49.

5- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، 2004، ص 27.

6- الفعل الكلامي:...كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري...يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية Actes (locutoires)، لتحقيق أغراض إنجازية (Actes illocutoires)، كالطلب والوعد والوعيد...وغايات تأثيرية (Actes perlocutoires)، تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما...ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مرجع سابق، ص 40.

7- المرجع نفسه، ص 120.

8- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، اللغة والحجاج، ط1، العمدة في الطبع، 2006، ص 120.

9- ينظر: محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، مجلة فصول، العدد 65، خريف 2004، شتاء 2005، ص 135.

10- محمد أديوان، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني، ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، معهد اللغة العربية وآدابها، تلمسان، العدد الأول 1994، ص 39.

11- ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، في التراث العربي، مرجع سابق، ص 44.

12- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، ط1،دار الثقافة، الدار البيضاء، 2000، ص 67.

13- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، اللغة والحجاج، مرجع سابق، ص 121.

14- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية، على القراءة، مرجع سابق، ص 63.

15- الفعل التأثيري: وهو ما نفعله بكوننا نتكلّم، التأثير يكون آنيا أو مستقبليا وفكريا أو عاطفيا أو عمليا...ينظر: بول ريكور، من النصّ إلى الفعل، أبحاث التّأويل، ترجمة محمد برّادة، حسان بورقيبة، مرجع سابق، ص 81، والفعل التأثيري أيضا يمثل الطابع الأقل كتابية من الخطاب، ويميز بالأحرى الخطاب الشفوي، ...، إنّه الخطاب بصفته مؤثرا، هنا يفعل الخطاب ليس بواسطة معرفة مخاطبي بقصدي، بل بنحو ما على صعيد القوة المستلزمة بواسطة انفعالات حالات مخاطبي العاطفية، هكذا يكون الفعل الافتراضي، القوة الإنجازية، أو الفعل في القول والفعل بالقول قادرين في تدرج تنازلي على التشخيص القصدي الذي يجعل التدوين بالكتابة ممكنا...ينظر: المرجع نفسه، ص 82.

16- علي آيت أوشان، السياق، والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، مرجع سابق، ص 72.

17- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، 17 جويلية–30 سبتمبر، 1999، ص 274.

18- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، من البنية إلى القراءة، مرجع سابق، ص 68.

19- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص 45.

20- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، 17 جويلية– 30 سبتمبر، 1999 ص267، إلى 84.

21- ينظر:

Vanderveken Daniel, Meaning and speech acts principales of langage use cambridg uni press, vol 1,1993 p 178.

22- التلفظ:...فالتلفظ هو الذي يحدد الدور التداولي للملفوظات، ويسهم في بيان دلالاتها، وفي الكشف عن آلية التعامل اللغوي، في السياقات المختلفة إذ يرتبط بسياق معين، فيصبح فيصلا في بيان المرجعيات...ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، مرجع سابق، ص 30.

23- أوزفالد ديكرو، الأفعال الكلامية من سوسير إلى فلسفة اللغة، ترجمة ومراجعة: فريق: م. إ. ق. العرب والفكر العالمي، العدد 10، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990، ص144.

24- جريدة النصر اليومية، صفحة الحياة الوطنية، الأربعاء، 28 أفريل 1999.

25- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، 17 جويلية– 30 سبتمبر، 1999 ص267، إلى 84.

26- ينظر: أوزفالد ديكرو، نظرية الأفعال اللغوية، من سوسير إلى فلسفة اللغة، ترجمة ومراجعة: فريق: م. إ. ق، مرجع سابق، ص 146.

27- المرجع نفسه، ص 147.

28- محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، مرجع سابق، ص 138.

29- المرجع نفسه، ص 138.

30- جريدة النصر اليومية، صفحة الحياة الوطنية، الأربعاء، 28 أفريل 1999.

31- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية، تداولية، مرجع سابق، ص 23.

32- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، 17 جويلية– 30 سبتمبر، 1999 ص267، إلى 84.

33- شكري المبخوت: نظرية الأعمال اللغوية، مرجع سابق، ص 15.

34- المرجع نفسه، ص 17.

35- المرجع نفسه، ص 16.

36- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، 2001.

37- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مرجع سابق، ص 23.

38- محمد أديوان، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني، ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مرجع سابق، **ص** 38.

39- محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، مرجع سابق، **ص** 139.

40- جريدة الشعب، صفحة (وطني)، يوم الاثنين، 12 أفريل، 2001، ص 4-5.

41- محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2005، ص 120.

42- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، في ضوء النظرية التداولية، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003، **ص** 111.

43- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل 17 نوفمبر، 31 ديسمبر، مرجع سابق، **ص** 272.

44- O Ducrot dire et ne pas dire 2em Edition HERMANN PARIS 1980 p 81

45- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مرجع سابق، ص 30 – 31.

46- ينظر:جون سرفوني، اللسانيات والتداولية، ترجمة حمو الحاج ذهبية، التبيين، الجاحظية، الجزائر، العدد 19، 2002، **ص** 75.

47- عبد العزيز بوتفليقة، خطب ورسائل، 17 نوفمبر، 31 ديسمبر، مرجع سابق، **ص** 273.

48- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، في التراث اللساني العربي، م، س، ص 32.

49- جريدة النصر اليومية، صفحة الحياة الوطنية، الأربعاء، 28 أفريل 1999.

50- المرجع نفسه.

51- ينظر: جون سرفوني، اللسانيات والتداولية، ذهبية الحاج حمو، مرجع سابق، ص 123.

52- كورنيليا فون راد صكوحي، الحجاج في المقام المدرسي، ملاحظات حول تعليم الحجاج في المرحلة الثانية في التعليم الأساسي، تحت إشراف فريق البحث في البلاغة والحجاج برئاسة حمادي صمود كلية الآداب بمنوبة، ص 13.

53- المرجع نفسه، **ص** 39.

54- محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2005، **ص** 7.

55- ينظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، مرجع سابق، ص 94- 95.

56- كورنيليا فون راد صكوحي، الحجاج في المقام المدرسي، مرجع سابق، ص 15.

57- عبد العزيز بوتفليقة، تصريحات وأحاديث صحفية، مرجع سابق، **ص** 247.

58- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي، في ضوء النظرية التداولية، مرجع سابق، **ص** 123.

59- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، مرجع سابق، ص 106.